مجموعة قصصية
Des:Amal.N
حبيبتي مميزة
حنان حنفي أحمد

حبيبتي مميزة

مجموعة قصصية بقلم:

حنان حنفي أحمد

تصميم غلاف: أمل النجار

تصميم داخلي: Kheira Ben

تعبئة و تنسيق: Kheira Ben

فريق عمل: الأمل للنشر الإلكتروني

فريق عمل

https://elamal112019.wordpress.com

حبي الأول

بداخل المشفى الكبير كان العمل على قدم وساق والمكان كان مزدحمًا على غير العادة بسبب انهيار منزل بالقرب من المشفى، وقد قاموا بتقسيم المصابين ما بين تلك المشفى ومشفى تبتعد عنها قليلًا، وكانت الممرضات تعمل في سرعة لإسعاف المصابين ومن بينهم كانت رحمة التي ما إن عرفت بالخبر أسرعت بالاتصال بخالتها التي كانت تقطن بذلك العقار الذي هوى وهوى معه أحلام وذكريات الكثير من قاطنيه، شعرت رحمة بالقلق على خالتها عندما وجدت هاتفها مغلق، ثم قررت أن تبحث في سجلات المشفى بين أسماء المصابين وعندما رأت اسمها بينهم هوى قلبها بين قدمها، وأسرعت على غرفتها لتطمئن عليها، دخلت في لهفة على خالتها لتجدها راقدة على السرير لا تشعر بشيء على الإطلاق وكان يجلس إلى جانبها شاب يدفن وجهه

في كفيه بحزن وعندما وقع بصرها عليه هوى قلبها بين قدمها مرَّة أخرى وكادت أن تخرج من الغرفة في هدوء حتى لايشعر بها، ولكن كان قد فات الأوان حيث شعر بها ونظر لها. نظرت هي الأخرى له وندمت أنها لم تعتني بمظهرها بذلك اليوم، وتمنت في نفسها ألا يتعرف عليها ولكنه خيب ظنها عندما قال لها:

ـ كيف حالكِ يا ابنة خالتي؟

كان سؤاله في ظاهره طبيعي ولكن بالنسبة لها لم يكن كذلك؛ فقد استنكرت سؤاله عنها بتلك البساطة وهو يعلم جيدًا أنها ليست بخير؛ فهي لم تكن بخير لفترة طويلة منذ أن تركها وسافر منذ خمس سنوات، كانت وقتها في الثامنة عشر من عمرها ولم تكن مثل زميلاتها الاتي تعرفن على الحب وخاضوا تجربته سريعًا؛ فقد كانت رحمة تخجل من محادثة أي رجل، ولو حدث وتحدث معها أحد كان يلتهب وجهها احمرارًا. وحده آدم من

تحدثت معه نظرًا لأنه كان ابن خالتها ولم يكن غريب عنها وبالرغم من أنها كانت تخشاه إلا أنها كانت تحب الحديث معه؛ فقد كان لقاءها به عيد يحدث بأوقات مختلفة على مر العام بخلاف الأعياد المتعارف عليها بين الناس؛ فكانت تتهيأ لذلك اللقاء وترتدي أجمل ما لديها وتقف أمام المرآة لوقت طويل، لم تكن تضع مساحيق التجميل التي لا تعرف أسماءها ولا التفريق بينها؛ فقد كان يكفي احمرار وجهها وشفتها الطبيعي لتُصبح آية الله في خلقه، وكان عندما يراها آدم لا يستطيع أن يشيح ببصره عنها، ولم يكن ذلك بيده فقد كان بها شيء يجذبه إليها كالمغناطيس فكان وكأنه يتلذذ برؤيته لحياءها واحمرارها خجلًا منه، ولم يوفر كلماته في مديحها فكانت تذوب عشقًا به وبكلماته، وذات يوم أخبرها أنه لم يرى يومًا فتاة مثلها في حياءها وخجلها والذي أصبح نادرًا بهذه الأيام، وأنه يتمنى لو تزوج بفتاة

بمثل أخلاقها، وطارت هي من السعادة بكلماته تلك واعتبرتها إشارة منه على إعجابه بها فأصبحت أسيرة لكلماته ونظراته لها ولم ترى رجلًا آخر غيره في حياتها، فكان هو الرجال كلهم أجمع في نظرها؛ فانتظرت وربطت مصيرها به، ولكنها فوجئت ذات يوم بتحدثه معها برغبته في السفر، اندهشت منه كيف يجلس ويتحدث معها عن سفره هكذا بكل بساطة!! وكأنه شيء عادي وهي بعد أن سمعت هذا الخبر شعرت أنها على حافة الانهيار، اندهشت كيف لم يشعر بها، كيف لم يتأثر مثلها؟! ولم تشفع له نظراته الأخيرة لها قبل سفره والتي كانت تنطق بالحب. من بعد سفره حاولت نسيانه ولكنها لم تستطع أن تتجاهل أخباره التي كانت تأتي لها عن طريق خالتها، وذات يوم علمت أنه قد تزوج من فتاة أجنبية ليتسنى له أخذ الجنسية، وقتها شعرت وكأن دلو ماء بارد صُب فوق رأسها ومادت الأرض بها ورسبت

بذلك العام، واندهش الجميع منها ومن حالها الذي تبدل، لكنها مع الوقت استجمعت قواها ولكن لم تمضي سوى شهور حتى جاءها نبأ وفاة والدها فخارت قواها، وجلست هي وأخيها الأصغر منها مع والدتهما يحاولون لملمة شتات أمرهم، ولكنها توشحت بالقوة من أجلهما وأصرت على النجاح وبالفعل نالت الشهادة التي كانت تنتظرها وأصبحت تعمل ممرضة بمشفى كبير وزادت ثقتها في نفسها وها هي الآن تقف أمام حبها الأول من جديد تحاول أن تتسم بالقوة والثبات في مواجهته. انتبهت من شرودها وردت عليه أخيرًا وقالت: حمدًا لله أنا بخير.. كيف حالك أنت؟

نظر لها آدم لم يكن يعرف بماذا يجيبها؛ فهو ليس بخير ولم يكن بخير يومًا منذ أن تركها بغير إرادته وسافر، لقد كانت حبه الأول ولازالت إلى ذلك الوقت الذي يندم فيه على سفره وتركها، ولكن ماذا كان سيفعل خاصَّة

بعد رفض والدها الصريح له عندما حاول أن يتقدم لها، أخذ يتذكر عندما جلست والدته مع والدتها تصارحها برغبة آدم بزواجه من رحمة، وانتظر هو ردهم عليه وكانت المفاجأة أن والدها رفض الموضوع من حيث المبدأ ودون حتى أن يقابلهم ونبه على الجميع أن لا تعلم رحمة بما حدث من أساسه، بالطبع كان موقف والدة رحمة صعب للغاية فلم تكن تريد خسارة أختها بسبب ذلك الموضوع؛ فآثرت هي التحدث مع آدم وصارحته بموقف والد رحمة الذي يخشى على مستقبلها وأن آدم مع الأسف لم يكن لمستقبله ملامح واضحة، بعد سماع آدم لذلك قرر أن يسافر ويعافر بكل قوته ليفوز برحمة بأي شكل، كان هذا وقتها هو الحل الأمثل والسريع الذي أمامه، ولكن كانت المعضلة الوحيدة في رحمة نفسها..

كيف يخذلها ويسافر هكذا ويبتعد عنها، كان يرى في عينيها الحزن ولا يستطيع أن يخبرها بالحقيقة، كان قلبه

يتمزق بين ضلوعه لرؤيتها على ذلك الحال ولكن لم تكن بيده حيلة، وهناك اضطر للزواج من فتاة أجنبية وقد كان زواج سوري فقط ليحصل على مبتغاه سريعًا، وكان أكثر ما يخشاه أن تعرف رحمة بأمر زواجه وتسيء فهمه، وهو لم يكن يفعل كل ذلك إلا من أجلها، ثم بعد ذلك ابتسمت له الحياة وأصبح له مستقبل مُشرف وانفصل عن زوجته الأجنبية وعندما قرر العودة لم يجد والدته في انتظاره ولم يجد حتى بيته القديم الذي ترعرع فيه؛ فقد هوى وهوى معه أحلامه وفرحته بعودته ولقاء الأحبة.

انتبه فجأة أنه قد تأخر في الرد عليها ثم قال لها : أنا لست بخير.

فاقت والدته فجرى نحوها وعندما رأته ابتسمت وعندما رأت رحمة أشارت لها بالاقتراب منها، ثم أمسكت بيدها ووضعتها فوق يد آدم ونظرت لرحمة مليًا برجاء

وفهمت رحمة مغزى نظرتها لها، ثم بعد ذلك أسلمت خالتها جفنيها لنوم طويل.

حب من نوع مختلف

دعوني أحدثكم عن زوجتي، رفيقة دربي وعشقي وقرة عيني، التي أفنت روحها في خدمتي وآمنت بحلمي ووقفت في ظهري، رزقني الله منها طفلان فتى وفتاة هما كل حياتنا، كانت حياتنا تمضي جميلة هادئة لم تخلو منها المشاكل كمشاكل كل بيت المعتادة، تزوج ابننا ثم ابنتنا وأصبح لدينا الكثير من الوقت الذي نجلس فيه معًا نتسامر تارة ونتشاجر تارة ولكن الحب هو الذي كان يطغى عل حياتنا في كل حين. مع الوقت تبدل حال زوجتي ولم يخفى ذلك عني؛ فلم تكن مثل تلك المرات السابقة عندما تكون متضايقة بسبب ما؛ فقد كانت هادئة على غير عادتها وتفضل البقاء وحدها بغرفتها، كنت عندما أدخل عليها غرفتها لا تشعر بي وهذا بالرغم أنها كانت ذي قبل تشعر بوجودي من رائحتي وأنفاسي وليس فقط لرؤيتي، ولكن تلك الفترة لم تعد تشعر

بوجودي أو ربما تتجنبني لا أعلم وتجلس وحدها بالساعات تطالع ألبومات الصور القديمة، لم يكن ذلك يزعجني ولكن عند تكرر ذلك الأمر أكثر من مرة بات يزعجني خاصَّة أنها لم تعد تهتم بي أو بملابسي أو تحضر لي الطعام، ومع ذلك كنت أعذرها وأقول ربما تكون متعبة فآتي لها بالطعام الجاهز، ولكنها مع ذلك كانت تعاملني بجفاء، أخذت بعقلي الظنون أنها ربما لم تعد تحبني مثل السابق، ولكن كيف وأنا حبها يكبر في قلبي ويزداد، أخذت أحاول التقرب منها ونخرج ونسافر معًا ولاحظت أن ضحكتها القديمة بدأت في العودة شيئًا فشيئًا، ولكن شرودها كان لا يزال موجودًا فكان أكبر حاجز بيننا، والذي جد أنها أصبحت تنسى المواعيد والأحداث التي جرت مؤخرًا وبدأت تخطىء في أسماء من حولنا حتى أبنائها وأحفادها، بدأت أشعر بالقلق عليها، وعرضت عليها الذهاب إلى الطبيب ولكنها

رفضت رفضًا قاطعًا؛ فهي كانت تكره المستشفيات والأطباء، ولكن المشكلة تفاقمت بسرعة فأصبحت تفقد أشيائها والنقود أيضًا وذات يوم اتصلت بي وأنا بالعمل وقد كانت تبكِ وتطلب مني أن آتي لها على الفور لأنها تائهة بالسيارة ولاتعرف أين هي ولا تستطيع القيادة، وعندما ذهبت إليها فوجئت بالناس حولها يحاولون مساعدتها وهي كانت خائفة منهم وترفض مساعدتهم، وبذلك اليوم عندما عدنا إلى المنزل أخذت تبكِ وتقول: ماذا أصابني.. أنا لم أعد كما كنت!!.

تحدثت معها وأخذت أحاول إقناعها بالذهاب إلى الطبيب لنطمئن عليها، وأخبرتها أن حالتها بسيطة ولكن من الضروري الذهاب إلى الطبيب، وعندما ذهبنا إلى الطبيب خضعت زوجتي لفحوصات عديدة وجلسنا بعدها في المنزل ننتظر نتيجة هذه الفحوصات خلالها كنت أُطمئنها على نفسها أنها بخير وأن كل ما في الموضوع

أنها تعاني من التوتر والقلق وبالقليل من العلاج سيختفي كل ذلك.

ظهرت النتيجة وذهبت إلى الطبيب وحدي لاطمئن أنا أولًا فقد كان هناك ما ينبؤني أن هناك شيء سيء ينتظرنا، وصدق ظني الأسود عندما أخبرني الطبيب أن زوجتي تعاني من مرض الزهايمر وأنها تعتبر في مراحله الأولى، نزل عليّ الخبر كالصاعقة فقد ظننت أنها ربما تعاني من أي شيء عدا ذلك المرض اللعين الذي بسببه ستنسى الكثير وحتى أنا، وهذا ما لا يمكن أن أحتمله، أعطاني الطبيب النصائح والعلاجات التي تفيد في حالتها، وعدت لها مبتسمًا فرحًا ولكن قلبي كان يبكِ، وأخبرتها أنها بخير وتحتاج فقط للقليل من العلاج والفيتامينات حتى تتحسن وصدقتني فما عَهِدت عليّ الكذب من قبل، ولكن تلك المرة لم يكن بيدي حيلة، وبعد ذلك اضطررت أن اتخذ بعض القرارات لأظل إلى

جانبها واعتني بها؛ فتقاعدت من عملي لأتفرغ لها وبرغم اعتراضها في البداية إلا أنها بعد ذلك تصالحت نفسيًا مع ذلك القرار وراق لها، ومع الأيام أخذت حالتها في التدهور فبدات تفقد إدراكها لمكان وجودها وأيام الأسبوع، وبدأت تخلط بين العائلة والأصدقاء وأصبحت تعاني من فقدان الذاكرة بشكل أكبر، وأصبحت في حاجة لمساعدتها في بعض الأنشطة اليومية هذا غير التغير الملحوظ في شخصيتها وسلوكها، وتحملت نوبات غضبها وشكها في وإلقائها بالتهم عليّ، ولكن ما قصف ظهري نصفين هو نسيانها لي وصراخها في بعض الأحيان خوفًا مني عندما أغيب عنها ثم تراني فجأة أمامها وتظنني شخص غريب، كل ذلك تحملته من أجلها أما عن ابنائنا فلم يستطيعوا تحمل ذلك يومًا واحدًا، فقد كانت صدمة عليهم رؤيتها هكذا، وهي تخطىء في اسمائهم وأحيانًا كثيرة لا تعرفهم ولكن مع ذلك كان

حالتها تبدو أفضل عندما ترى أحفادها، كنت أنا وحدي من أتحمل مسؤوليتها؛ فقد كانت ابنتي مشغولة بعملها وأطفالها، وابني لم يكن يتخير عنها، وزاد الوضع سوءًا عندما دخلت زوجتي في مرحلة الخرف الشديد وهي المرحلة المتأخرة من المرض؛ فأصبحت لا تتواصل معي بشكل جيد وبحاجة يومية للمساعدة الشخصية في تناول الطعام وجميع مهام الرعاية الذاتية اليومية الأخرى، ولم أتأخر عنها يومًا، كان أصدقائي يتصلون بي في أحيانٍ كثيرة يعرضون عليّ أن اقابلهم وأجلس معهم كما ذي قبل فكنت أرفض، كنت أخشى أن أتركها فتؤذي نفسها، وعرض عليّ الكثير أن آتي بامرأة لتخدمها وأهتم أنا بنفسي قليلًا، ولكني لم أوافق بذلك الاقتراح فكنت أخشى ألا تهتم بها كما أهتم أنا بها ففي النهاية ستكون مجرد عمل بالنسبة لها أم بالنسبة لي فهي قطعة من قلبي؛ إلى أن جاءت ابنتي ذات يوم وقالت لي

أنها أخذت إجازة من عملها وتركت ابنائها مع زوجها لتأتي وتعتني بها حتى أرتاح انا قليلًا، وطلبت مني أن أخرج، نظرت لها غير مصدق هل أخرج واتركها؟! .. كان ضميري يؤنبني ولكن ابنتي أخذت تحاول إقناعي أن أخرج وأرفه عن حالي قليلًا ولا أنسى نفسي كليًا هكذا من أجلها، ترددت الكلمة بعقلي (من أجلها) وما المشكلة أن يفنى عمري من أجلها فهي حياتي وعمري وماضيا وحاضري ومستقبلي. وافقت في النهاية أن أخرج مع أصدقائي وقابلتهم بالفعل، كانوا فرحين بوجودي بينهم ولكن أنا لم أكن كذلك، على عكس ما كنت ذي قبل، فجلست بينهم شاردًا أفكر في رفيقة عمري وكل نصف ساعة اتصل على ابنتي اطمئن منها عليها؛ فكانت تطمئني وهي مندهشة من حالي، في ذلك اليوم عدت مبكرًا للمنزل بعد أن كنت مع أصدقائي الحاضر بجسده الغائب بروحه؛ فروحي قد تركتها

بالمنزل وها أنا عدت من أجلها، كانت أكثر لحظة سعيدة عندما وقع بصرها عليّ وابتسمت بفرحة كالطفلة التي كانت تائهة من والدتها ثم وجدتها، ولم أجرؤ أن أكرر ذلك اليوم وآثرت الجلوس إلى جانبها لاعتني بها.

ذات يوم مرضت بشدة وعندما عرضتها على الطبيب أخبرني أنني يجب عليّ أن أهتم بها أكثر من ذلك، وأشار عليّ أن انضم لجروب أعضاءه من أهالي مرضى الزهايمر ليساعدونني على فهم ومعرفة كيف أتعامل معها كما ينبغي معها، وانضممت لهم بالفعل وأفادونني كثيرًا، وكنت لزوجتي كوالدتها اعتني بها اعتناء كامل دون كلل أو ملل، كنت بالطبع اتحسر كل يوم على حالتها التي تتدهور سريعًا وما عاد ابنائنا يستطيعون رؤيتها على هذا الوضع فكانوا يتهربون من زيارتنا، كنت أعذرهم ولم أطالبهم بشيء؛ فقد كرست حياتي لخدمة زوجتي، ولم ألتفت لنصيحة البعض لي أن

أتزوج من غيرها وآتي بأحد آخر ليخدمها، كنت أغضب منهم وأقاطعهم لقولهم ذلك؛ فهل كانت ستفعل هي ذلك لوكنت أنا مكانها؟ كلا وألف كلا.

دارت بي الأيام وأنا أخدمها دون تعب أو كلل أو حتى شكوى؛ إلى أن ذات يوم كنت كعادتي أنظف لها أسنانها فوجدت سن لها مفقود؛ فشعرت بالفزع من أن قد تكون ابتلعته، وشعرت بالذنب وهي تتأوه من ألم معدتها بعدها، ولُمت حالي على إهمالي لها، وبعدها تنبهت أن أخضعها لفحص شامل كل فترة وأهتم بغذائها على النحو الصحيح، سنوات ونحن على ذلك الحال والناس تنظر لي متعجبة من أمري وكأنني من كوكب آخر، فكنت أقول في نفسي أنا من على نفس كوكبكم ولكن زوجتي الحبيبة هي التي من كوكب آخر.

ذات يوم وجدت ابنتي تفاجئني أنها عرضت اسمي في التأهل لمسابقة الأب المثالي؛ فضحكت منها ولم آبه

كثيرًا لما فعلت ولكني فوجئت بعدها بفوزي في المسابقة وأنه يجب عليّ أن أحضر بنفسي لذلك التكريم، وبالرغم من أن ابنتي أكدت لي أنها ستكون إلى جانب والدتها إلا إنني خفت أن اتركها وذهبت على مضض، وهناك كان الاحتفال كبير وانتظرت دوري في التكريم وعندما شعرت انني قد تأخرت كدت أن أغادر ولكني فوجئت بهم ينادون على اسمي فذهبت لاستلم جائزتي وعيناي تملؤها الدموع، وعندما سألونني عن سر بكاءي توقعوا أنه بسبب سعادتي بالحائزة، ولكن فوجيء الجميع بي وأنا أخبرهم السر وراء بكاءي ألا وهو زوجتي؛

وقصصت عليهم حكايتي معها وبعد أن انتهيت رايت الدموع في أعين الجميع وتقدم المسؤول عن المسابقة ووقف إلى جانبي وقال:

هذه المسابقة تحمل اسم الأب المثالي ووالله أنت تستحقها وأكثر كزوج مثالي لا يختلف عليه اثنين. وصفق جميع الحاضرين بقوة تحيةٍ لي.

حبيبتي مميزة

مع بداية العام الدراسي الجديد، استعد جمال مدرس اللغة العربية لذلك اليوم وعندما ذهب إلى المدرسة وجد المدير يستدعيه ويخبره بتغيير في جدوله، وأنه سيشرف على تدريس لفصل ثانوي إضافي، لم يكن جمال يحب معارضة مديره خاصَّة وأن مُدرسة ذلك الفصل اعتذرت لأسباب مرضية، وبرغم جدوله المشغول إلا إنه وافق، دخل جمال ذلك الفصل وألقى السلام على الفتيات، كان يعرف أغلبهم من قبل لأنه كان يشرف على تدريسهم في أثناء غياب مُدرستهم، وبدأ بالشرح لهم بالرغم من عدم ارتياحه؛ نظرًا لأن بعض الفتيات كانت مشاغبة، وعند انتهاء يومه الدراسي سأله المدير عما إذا كان مرتاح في ذلك الفصل أم لا؟ فأخبره جمال بعدم ارتياحه وأنه يُفضل لو أحد آخر استلم ذلك الفصل مكانه، أراحه

المدير وأخبره بأنه سيبحث عن أحدٍ آخر بالفعل، ولكن جمال لم يكن واثقًا من ذلك.

في اليوم التالي ذهب جمال إلى عمله وكان بداية يومه بذلك الفصل الإضافي، فدخله مُجبرًا وقد أخذ قرارًا بمعاملة الطالبات معاملة أخرى عما يتبعها في العموم؛ حتى يستطيع السيطرة عليهم، دخل الفصل وألقى عليهم السلام فردوا عليه كالعادة، ألقى عليهم نظرة سريعة قبل البدء فإذا بضوء الشمس يضرب عينيه، أغمض عينيه وفتحها ونظر جيدًا، فلم يكن ذلك هو ضوء الشمس فقد كان ضوءًا لشيءٍ آخر، دقق النظر جيدًا فضرب نور وجهها عينيه أو هذا ما شعر به عند رؤية تلك الفتاة، والتي كانت تجلس في آخر الصف وكانت مختلفة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فكانت بيضاء كالثلج وشعرها لا يقل بياضًا عن وجهها، ويكاد يجزم أن كلتا عينيها لا تحمل نفس اللون، أخذ يفكر أن تلك الفتاة لم تكن

موجودة بالأمس فهل يحلم أم ماذا؟! كانت تجلس بالمقعد الأخير وحدها وكأن الجميع يتجنبها أو هذا ما شعر به، وقرر أن يسألها :

ـ أنتِ لم تكوني حاضرة بالأمس أليس كذلك؟!

قالت بصوت خفيض: نعم

ـ ما اسمكِ ؟

قالت في خجل: سُنبلة

ضحكت بعض الفتيات على اسمها فنهرهم هو في استياء ثم أشار لها أن تجلس.

لم يعرف جمال كيف شرح الدرس بذلك اليوم فقد نسي كل ما كان يعرفه فجأة بسبب رؤيتها، فكان يحاول طوال الشرح أن يستجمع معلوماته وتفادي النظر نحوها نظرًا لأنها كانت عامل إلهاء له كبير.

عاد جمال إلى منزله بذلك اليوم مشغول الفكر، لم تفارق فكره صورتها وكأنه تعرض للسحر أو ما شابه، ثم أخذ يبحث على الإنترنت عن حالتها الفريدة تلك، ثم وجد أنها تعاني من حالتين جينيتين نادرتين، الأولى هي «المهق» حيث يفتقد الجلد والشعر للصبغيات الملونة، والحالة الثانية هي «هيتروكروميا» وهي اختلاف كل عين عن الأخرى، بعد معرفته بتلك الظاهرة الفريدة أخذ يتذكر وجهها ويقول في نفسه سبحانك ربي!

دخلت عليه والدته وعندما رأته شاردًا اهكذ اندهشت من حاله وتمنت بداخلها لو كان مشغولًا بفتاة حتى تفرح به وتراه عريس وترى له أحفاد؛ فتلك كانت أمنيتها ولطالما كانت تسعى إليها بإتيان عروس له من حين لآخر ولكنه في كل مرة كان يرفض ويتملص منها، وكانت حجته أنه يريد أن يتزوج ممن يحبها ويرتاح لها قلبه ويطمئن إليها وتملأ عليه دنيته فلا يرى غيرها من بين النساء جميعًا،

تلك كانت الصفات التي أرادها في شريكة حياته، ولم يضع شروطًا أخرى كمعايير الجمال وخلافه، فقط يرتاح ويسكن إليها.

في اليوم التالي ذهب جمال لعمله، فكان يومًا آخر يشبه أيامًا كثيرة وكل شيء كان يمشي على مايرام، وأثناء طابور الصباح كانت تقف الطالبات في صفوف وفجأة رأى جمال فتاة تقع بين إحدى الصفوف، فجرى نحوها ليرى ما حدث ويساعد الفتاة على النهوض فلم يكن أحد قد لمحها غيره، ولدهشته لم تتحرك فتاة واحدة لمعاونتها على النهوض، عندما اقترب منها وجدها سنبلة فمد يده لمساعدتها على النهوض لكنها تجاهلتها تمامًا ونهضت في خجل، وسألها:

ـ ماذا حدث؟

قالت: لا شيء، لقد وقعت بالخطأ

نظر جمال إلى زميلاتها باندهاش كيف لم يساعدها أحد منهم وكان في حيرة من أمرهم.

كان صوت النشيد في الميكرفون يعلو يُنبىء بصعود التلاميذ على فصولهم، فصعدوا جميعًا، وظل جمال واقفًا مكانه يراقب الفتيات وهي تصعد على فصولها، ولمح نظراتهم إلى سنبلة، وقد كانت نظراتهم إليها تشوبها الحقد والغيرة. مر اليوم الدراسي في مساره الطبيعي إلى أن حان وقت الراحة، وانتشرت الفتيات في فناء المدرسة، وكان جمال واقفًا بأعلى المبنى يشاهدهم وهم يلهون ويلعبون، ثم نظر وجد سنبلة، كانت تجلس وحيدة تأكل في صمت، ثم رأى الفتيات ينظرون لها ويشيرون عليها ويضحكون عليها، ثم رأى فتاة تفتعل معها مشاجرة فغلي الدم في عروقه فقد كانت تلك الفتاة تتعرض للتنمر وذلك بسبب شكلها المختلف، وبرغم أنها آية الله بجمالها إلا أن الفتيات يرون أمرًا آخر، فهم لا

يستوعبون وجود ذلك الجمال بينهم فهذه كانت إهانة لهم على حد تفكيرهم. حاول جمال بعد ذلك أن يلاحظ جيدًا معاملة الفتيات مع سنبلة وتأكدت ظنونه، وفي يوم استدعى سنبلة وقرر أن يتحدث إليها بصراحة.

جلست سنبلة أمامه، كانت تشعر بالخجل فكان ذلك باديًا على وجهها الحيي الذي احمر خجلًا، فقال جمال في نفسه: وهل كان ينقص وجهها تخضبه بالأحمر هكذا !! يارب كُن معي لأصمد أمام كل هذا الجمال.

قال لها جمال: هل هناك من الفتيات من تضايقكِ يا سنبلة؟

قالت: لا

اندهش من نكرانها لذلك، فقال:

- ولكني رأيتهم بعيني وما يفعلونه معكِ

سكتت قليلًا ثم قالت: إنهم لا يقصدون ذلك، ثم إنني معتادة على ذلك الأمر

قال جمال يحدث نفسه: يا الله، كيف تكون بتلك الرقة وذلك الجمال ويحدث معها كل هذا التنمر؟! والذي من كثرته اعتادت عليه في حياتها!

حاول جمال أن ينسى هذا الموضوع وتحدث مع الاخصائية الاجتماعية لتتولى هي هذا الموضوع.

كان جمال مدرس متمكن ولديه ملكة توصيل المعلومة بطريقة سلسة ولكنه لاحظ عندما يدخل للفصل الذي به سنبلة يتبدل حاله على الفور، فتهرب منه الكلمات وينسى ما كان يتحدث به وكل ذلك كان بسببها، وكل ذلك كان يحدث أثناء صمتها فما بال إذا تحدثت!

لم يستطع جمال المواصلة بهذا الشكل فقد قرر ترك هذا الفصل لأحد زملائه ووافق المدير على الفور، وبالرغم

من أن تلك كانت رغبته إلا إنه شعر بالغربة والوحدة لعدم رؤيتها كل يوم، فكان مزيج لشعور غريب لم يشعر به من قبل.

ذات يوم أتته سنبلة وطلبت منه أن يعطيها درس خاص بالمنزل لتحسين مستواها، اندهش من طلبها فقد ترك فصلها ليبتعد عنها فإذا بها تطلب منه أن يعطيها درس خاص وحدها، ما تلك المصادفة؟! احتار هل يوافق أم يرفض حتى يبتعد عن أية مشاكل ممكن أن تحدث؟!

كان في حيرة من أمره، حيث لم يكن من الصواب أن يقترب منها وهو يُكن لها المشاعر، فهي في الأخير تلميذته وهو أستاذها، لذلك يحب أن يبتعد عنها وهذا ما توصل إليه بعد تفكير طويل، لذلك رشح لها مدرس صديق له ليعطيها الدرس الخاص بدلًا منه.

بعد ذلك بأيام لاحظ جمال غياب سنبلة عن المدرسة لثلاثة أيام على التوالي فشعر بالقلق، ولم يجد أحد ليسأله

عنها سوى ذلك المدرس صديقه الذي رشحه لها من قبل؛ فذهب ليسأله عنها برغم حرجه الشديد منه، وفوجىء جمال بصديقه يخبره أنه لم يراها منذ أيام لاعتذارها عن الدرس لأكثر من حصة، وما سمعه جمال من صديقه جعله يقلق ويحتار أكثر، ومضى أكثر من أسبوع، وعلم أن مسؤولة الغياب بعثت لها بإنذار بالفصل من المدرسة، وفي اليوم التالي فوجىء جمال بحضور سنبلة إلى المدرسة ولكنها كانت مختلفة حيث كانت شاحبة وهزيلة والحزن كان جليًا على وجهها، هاله مظهرها وشعر بالقلق عليها وشعر أيضًا بقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه من حزنه على مظهرها، ولم يستطع أن يتجاهل حاله ولوعته، لذلك تجاهل تماسكه وتظاهره بالقوة وقام باستدعائها أثناء فترة الراحة ليستفهم منها عما بها، وفور أن جاءت سألها:

ـ ما بكِ يا سنبلة؟

اندهش عندما نظرت له بعتاب ولم ترد عليه، فقال:

ـ ماذا بكِ؟ ولم تغيبتِ عن المدرسة كل هذا الوقت؟ هل هناك أحد يضايقكِ؟ أخبريني ولا تقلقِ

ـ هل تتحدث بجدية؟!

فوجىء بردها وقال: نعم بالطبع

نظرت له طويلًا ثم قالت: أنا كنت معتادة على تنمر الناس ومعاملتهم السيئة معي وكأنني لي يد في ولادتي بهذا الشكل! ولكن ما لم أتوقعه هو تنمرك أنت معي!

تغير وجه جمال وقال بدهشة: أنا؟!

ـ نعم أنت، فالبرغم من وقوفك إلى جانبي في بادىء الأمر وشعرت وقتها أن الدنيا لازالت بخير، فإذا بك تغير من معاملتك معي وتبتعد عني وتتجاهلني دون أن أفعل لك شيئًا

ـ أنا فعلت ذلك؟!

ـ نعم ألا تذكر! في البادىء عندما تركت الفصل قولت في نفسي حدث ذلك بسبب ظرف ما، ثم بعد ذلك اعتذرت عن إعطائي درس خاص وتجاهلتني تمامًا. لم أستطع أن آتي إلى المدرسة، فقد كنت أنت الوحيد الذي يعاملني بها بلطف، وعندما تبدلت معاملتك معي أظلمت الدنيا بعيني.

أخذ جمال يفكر ان كلامها صحيح، فهو ابتعد عنها ولكن ليحافظ عليها من نفسه فقد خشي أن يصل لها إحساس بإعجابه بها، ولكن هي فهمت ابتعاده عنها خطأ.

قال لها : لقد فسرتِ تصرفاتي معكِ خطأ، فأنا ابتعدت عنكِ لأحميكِ من نفسي

ـ تحميني من نفسك! كيف أنا لا أفهم؟!

احتار ماذا يقول لها، ولكن الألم الذي رآه بعينها جعله يقول رغمًا عنه: أنا أحبك يا سنبلة ولأن هذا الوضع

خاطىء نظرًا لأنني أستاذك فحاولت أن ابتعد عنكِ قدر استطاعتي

رآها تبتسم بخجل ثم قالت: هل تقول ذلك حتى لا أحزن؟

ـ لا فهذا حقيقي، وأنا كنت سأموت من القلق عليكِ بالأيام الماضية، أنتِ غالية على قلبي كثيرًا يا سنبلة ولا أستطيع رؤيتك حزينة هكذا

ـ أنا حزينة لابتعادك عني، فأنا أيضًا أحبك

ـ لا يا سنبلة هذا مجرد إعجاب بأستاذك ليس أكثر، فأنتِ في سن حرج لذلك يجب أن أبتعد، ولكن تلك المرة يجب أن تلتمسي لي العذر فأنا أفعل ذلك من أجلك

عندما رآها حزينة قال: ربما بعد أن تنتهي من المرحلة الثانوية واطمئن عليكِ يكون لنا حديثًا آخر

ابتسمت وقالت: حقًا!

وبرغم سعادتها إلا إنه كان أكثر منها سعادة، فلم يكن يصدق يومًا أن فتاة بمثل جمالها تفكر فيه وتحبه.

نجحت سنبلة وبتفوق واستعدت لدخولها الجامعة، وكان جمال يطمئن عليها كل فترة فلم يكن يريد أن يشغلها عن دراستها، وكان يحافظ عليها منه قدر استطاعته ويتقي الله فيها آملًا أن يفوز بها في النهاية.

مهدت سنبلة لوالديها أن جمال يريد مقابلتهما ليتقدم لها، وبالنسبة له لم يكن من الصعب أن يمُهد الموضوع لوالديه، الذين كانوا يريدون أن يفرحوا به في أسرع وقت.

وهناك في منزل سنبلة التقى جمال ووالديه بوالديها، فجلسوا سويًا وتحدثوا كثيرًا، ثم حان الوقت لرؤية العروس، وخرجت عليهم سنبلة بطلتها الجميلة وفستانها بلونه الهادىء الجميل، كانت جميلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، نظرت لها والدة جمال وكانت علامات

الدهشة بادية على وجهها، أما عن والده فقد ارتاح لها ولأهلها، وكان كل شيء يسير على مايرام، ولكن كانت والدته صامتة على غير عادتها وذلك لم يخفى على جمال ولم يعرف السبب في ذلك.

عندما عادوا إلى المنزل سأل جمال والديه عن رأيهما في سنبلة، فلم يكن رأي والده مختلف عما توقعه، ولكن رأي والدته هو ما فاق كل التوقعات فقد قالت له أنها جميلة وجمالها مبالغ فيه وأنها مختلفة ولا تناسبه كزوجة فاندهش جمال من قول والدته، وأخذ يدافع عنها أن هذا خلق الله لا يد لها فيه، ولا يعيبها أنها جميلة ومختلفة؛ فأكدت له والدته أنها غير معترضة على خلق الله وأن وجهة نظرها تكمن في الناس عندما تشاهدها برفقته فهم رغمًا عنهم سينظرون إليها ويتحدثون عنها وأنه سيأتي اليوم الذي يعاني هو فيه بسبب ذلك، هذا بالطبع إلى جانب فارق السن بينهما والذي يُقدر بعشر سنوات،

ولكن جمال أكد لوالدته أنه لا يأبه للناس ولا يعيبه أنه يكبرها وخاصَّة أن أهل سنبلة لم يذكروا أي شيء يخص ذلك، ثم أخذت والدته تتحدث كثيرًا بضيق وأنها مستاءة منه لأنه انتظرها حتى تنتهى من تعليمها حتى يتقدم لها وهي كانت تظن أنه رافضًا لفكرة الزواج في العموم، في حين هي كانت تنتظر أن تفرح به وتزوجه بفارغ الصبر، وبرغم تأكيد جمال على إنه لم ينتظرها كثيرًا إلا أن والدته ظلت ناقمة على الموضوع برمته، ورفضت الحديث فيه، أما عن أبيه فقد أخذ يُطيب من خاطره وأخبره أنه سيحاول التحدث مع والدته لاحقًا لإقناعها بالأمر دون مشاكل.

جلس جمال مهموم بغرفته ولم يتحدث إلى سنبلة بذلك اليوم؛ فقد خشي أن تشعر بنبرة صوته الحزينة، فلم يكن يتخيل أن والدته تفكر كما تفكر الناس، الناس التي كانت تجرح سنبلة بنظراتها وهي لم يكن يعيبها شيء.

دخل عليه والده وانتشله من أفكاره وأخبره أنه حاول التحدث معها ولكنها رفضت التحدث معه؛ فقرر جمال أن يتحدث معها مرَّة ثانية ويحاول إقناعها على طريقته، استوقفه والده فقد خشي أن يفقد أعصابه أمامها ويتحدث بطريقة غير لائقة تجعلها تُصر على رأيها فطمأنه جمال أنه سيتحدث معها برفق ولعلها تستجيب له

دخل جمال على والدته والتي قالت دون أن تنظر إليه:

ـ إن كنت جئت لتتحدث معي في ذلك الموضوع فلا تتعب نفسك، أنا غير راضية عنه

ـ أنا لا أطلب منكِ سوى أن تسمعيني بقلبك. أنا يا أمي للمرة الأولى بحياتي أعرف معنى الحب وحمدت الله أنني عندما أحببت، أحببت فتاة ذات أخلاق ولن أنكر أنه في بادىء الأمر جذبني إليها جمالها و هدوئها، فقد كانت عبارة عن لوحة جميلة ومن يراها عليه أن يقف أمامها احترامًا ويقول: سبحانك ربي ما أعظمك! فهذا ما يجب

أن يحدث، فلا نتنمر عليها ولا نسخر منها كما يحدث الآن معها

- هل تتهمني أنني أتنمر عليها؟

- حاشى لله يا أمي أن أفعل ذلك، ولكن نحن أحيانًا نفعل ذلك دون قصد منا، لذلك أريدكِ أن تُعيدي التفكير في هذا الموضوع، لأن ذلك مستقبلي وأنا أراها معي في مستقبلي تقف إلى جانبي كزوجة، ولا أتخيل أحد آخر مكانها، فعذرًا يا أمي التمسي لي العذر إن أخبرتك أنني إن لم اتزوجها فلن أتزوج من غيرها.

عندما سمعت والدته هذه الجملة شعرت بالقلق فقد كانت تعرف ابنها جيدًا، وأن ما قاله ليس تهديدًا فقط، فهي متيقنة من كلامه وتنفيذه له، لذلك وافقت على ارتباطه بها، ومن أجله حاولت بالفعل النظر إلى سنبلة بطريقة أخرى بلا ظلم لها.

وتم عقد قران جمال على سنبلة وسط فرحة أهلهم، وكانت سنبلة أجمل عروسة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

غرفته كشفت أمره

كان العمل في منزلنا المتواضع على قدم وساق للإستعداد من أجل الحفل الذي أعده من أجل زوجي العزيز بمناسبة عيد مولده وعيد زواجنا أيضًا، وقد أعددت كل شئ في سرية تامة حتى أفاجئه، أخذتُ ابنتي الكبرى معي وذهبنا لنشتري له هدية تليق به، اندهشت ابنتي من حيرتي في إختيار هدية له فقد بحثت كثيرًا ودخلنا أكثر من متجر ولم يعجبني شئ أيضًا، وعندما طال الأمر سألتني ابنتي:

ـ ولم كل تلك الحيرة؟! لم لا نشتري أي من تلك الأشياء فنحن رأينا أشياء جميلة كثيرة ؟

فأجبتها وقلت: تلك هدية لوالدك أعز الناس على قلبي لذلك أنا لن أقبل بأي هدية من أجله، فيجب أن تكون تلك الهدية تليق بشخصه، وبعد بحث طويل توصلت لهدية

شعرت بأنها ستنول إعجابه، وبعد أن وجدتها ورأت ابنتي الارتياح على وجهي قالت لي: وأخيرًا، ألهذه الدرجة تحبينه؟!

أجبتها: وأكثر

قالت: هل تعرفين؟ لم يعد في زماننا هذا قصة حب مثل قصة حبكما!

قلت لها: ربما لأن السرعة أصبحت تطغي على الأحداث ولم تعد الناس تتمهل كما في السابق ولم تعد هناك بركة

قالت: و ما علاقة البركة بالحب؟

قلت: إنها علاقة وطيدة ولكن لم تعد الناس تفهمها أو تؤمن بها ربما لأن ذلك العصر هو عصر السرعة كما تطلقون عليه

قالت: أريد أن أعرف كيف بدأت قصة حبكما أنتِ وأبي؟

استرجعت ذكريات ما قبل خمسة وعشرون عامًا عندما تعرفت على زوجي الحبيب وقلت لإبنتي:

ـ إنها قصة طويلة

قالت: أخبريني بها فأنا متشوقة لسماعها

قلت: سأقصها عليكِ.

عندما توفى والدي كنت أحيا أنا ووالدتي وحدنا، وقتها ظهر لوالدتي أخ لها وقد كنت أراه للمرة الأولى، فقد كان مقاطعها منذ زمن بسبب زواجها من والدي، كان ذلك بسبب مشكلة ما وقتها وعندما علم خالي هذا بوفاة والدي أشفق على والدتي من وحدتها، وقرر مصالحتها وهذا ما حدث بالفعل، ولم أكن أصدق وقتها بأنه كان لي خال، ولم أعرف إلا بعد مُضي كل تلك المدة! وزاد من

سعادتي أنه كان يعاملنا معاملة حسنة، وقد لمست فيه الوالد الذي فقدته، كان يأتي إلينا وحده نظرًا لمسكننا البعيد بمحافظة أخرى عن مسكنه، ولم نكن قد تعرفنا على عائلته بعد وقد كنت متشوقة أن أتعرف عليهم كثيرًا، وذات يوم و بعد أن غادرنا خالي أرادت والدتي محادثتي في مسألة هامة وتعجبت عندما علمت منها تلك المسألة حقًا، فقد صارحتني بأن خالي يريد أن يزوجني من ابنه الأكبر ويريد منا أن نحيا كلنا إلى جانبه فى منزله الذي يمتلكه؛ لنكون قريبين منه ويكون مطمئن علينا أكثر، تعجبت من أمره وهل يجب ليكون هو مطمئن علينا أن أتزوج من ابنه؟! والذي لا أعلم عنه شيئا، قلت لوالدتي كيف أرتبط بشخص لا أعرفه ولم أراه من قبل؟! أخذت والدتي تحاول اقناعي بأن أراه وأتعرف عليه وبناءًا عليه أقبل أو أرفض الأمر وبعد تفكير طويل قررت أن أراه، وبعد ذلك أتعلل بأي سبب

لرفضه، فقد كان في نيتي وقتها رفضه ولا أحد سيجبرني على الزواج، وبالفعل ذهبنا إلى هناك عند خالي ورحب بنا هو وزوجته كثيرًا، وكانت لديه ابنة تصغرني ببضعة سنوات تعلقت بي سريعًا وأنا ارتحت لها أيضًا، جلست أشاهد منزلهم و اتأمله فأنا كانت لديّ قدرة أن أعرف سلوك الناس من غرف معيشتهم، فقد كانت تلك عادة ورثتها عن أبي، كان منزلهم هادئًا وجميلًا تملؤه روح الأسرة المتحابة، أخذتني ابنة خالي لغرفتها وجدتها نظيفة مرتبة كما تبدو غرفتي بالضبط، فعرفت أننا متقاربان في التفكير وكان هذا واضحًا منذ أن رأيتها ، سألتها عن غرفة أخيها الذي لم يكن موجودًا بالمنزل فانتهزت الفرصة واستأذنت منها دخولها سرًا دون علم أحد لأشاهدها، ولم تقف عند طلبي كثيرًا وأخذتني لها، دخلتها وأخذت أتفحصها بنظرتي الثاقبة، وأحاول أن أتعرف على شخصيته منها، كانت غرفته

مرتبة يشوبها الهدوء والسكينة، حيث شعرت بنفسي و كأني بغرفتي، فقد كانت بنفس الترتيب والتطابق، فلا وجود للصور على الحائط عدا صورتين بهما آيات قرآنية، ورأيت مصحف كبير إلى جانب سريره ومكتبًا أنيقًا مرتب بعناية عليه بعض من الكتب والروايات وبعض من الأوراق بخط يده المنمق ذو الرِقعة الجميل، دفعني إلى قراءته فإذا ببعض الأشعار ولم أكن أتوقع أن يكون شاعر! وليس بأي شاعر فقد سحرتني كلماته وتهت بين سطورها! وبعد أن انتهيت من القراءة نظرت إلى غرفته فإذا بي أشعر به في كل ركن من أركانها وكأنني أراه، فهنا ينام وهنا يؤدي صلاته وهنا يقرأ قرآنه وهنا يبكي من خشية الله وهنا يكتب، ولكن مهلًا؛ فأنا أشتم رائحة وقد كانت رائحة ذكية بحق، تعجبت من أين قد أتت تلك الرائحة! فلم أشتمها منذ دخولي الغرفة

سوى الآن، ربما لأنه قد جاء ورآني وأنا أجلس على مكتبه ثم قال لي:

ـ مرحبا بكِ في غرفتي يا ابنة عمتي

ارتبكت عندما وقع بصري عليه واحمرت وجنتاي خجلًا، فقد شعرت بعينه تكاد تخترقني، واقترب هو مني ومد يده ليصافحني فمددت يدي وصافحته وراودتني رؤية سريعة، فقد رأيت أن ذلك الشخص الواقف أمامي سيكون زوجي وسأكون أنا ملكته المتوجة على عرش قلبه وهو سيكون ملكًا أيضًا على قلبي، دقائق قليلة جمعت بيننا كانت كافية لتغيير فكرتي بعدم الارتباط به، وتعجبت والدتي من حالي الذي قد تبدل ولكن من كان يعلم ما سيحدث سوى الله مُقلب القلوب، بعد ذلك اللقاء بوقت قصير تزوجته ونشب الحب بيننا سريعًا، وقد كان هو يتعجب مني لفهمي لطبيعته وشخصيته بتلك السرعة وكأنه كتاب مفتوح لي على مصراعيه، أخطو بين

صفحاته دون استئذان منه، ولم يحدث يومًا أن خلِد أحدنا إلى النوم وهو يحمل شيئًا ضد الآخر وكانت حياتنا تسير هادئة جميلة مثل بيتنا وغرفه تملؤها المودة والرحمة والحب والتفاهم وقد اكتملت قصة حبنا بهدية رزقنا الله إياها، كانت أنتم فحلت السعادة على حياتنا أكثر

انتهيت من سرد قصة حبنا أنا وزوجي على ابنتي التي ما أن انتهيت قالت لي :

هكذا فقط! تعرفتي عليه عن طريق غرفته فتزوجتيه!

قلت: نعم هكذا فقط

لمحت في عينيها عدم تصديقها، مسكينة هي ابنتي، لم تستطع أن تستوعب كيف بقصة حب قد نشأت بتلك البساطة والسهولة حيث أن بتلك الأيام لم تعد تحدث الأمور بتلك البساطة، وازدادت الأمور تعقيدًا، ولكن

مع ذلك أنا مازلت أعيش حياتي بتلك البساطة دون أية تعقيدات، ومازلت أستطيع التعرف على الناس من منازلهم وغرفهم ولم أفقد تلك النظرة الثاقبة التي تميزني وتعرفت من خلالها على زوجي الحبيب، الذي يمثل لي الأب والصديق والأخ وأكثر من ذلك بكثير وها هو يقف إلى جانبي ونحتفل سويًا بعيد زواجنا الخامس والعشرون وعيد مولده أيضًا وقد أحضر لي هدية قيمة أخذت لبي وأخبرني بأنه قد بحث عنها كثيرًا إلى أن وجدها، وكانت هدية تليق بي كما فعلت أنا معه بالمثل في إختيار هديته، فنحن متطابقان في كل شئ ويجمع بيننا أشياء عدة وأهمها هو الحب.

فتاة المكتبة

أنا باسل أقوم بعمل الماجستير في علم النفس، ذهبت أنا وأصحابي إلى مكتبة الجامعة لعمل البحث الذي كلفنا به الدكتور عمر، جلست أنا وصاحبيّ كريم وسامح و قد أخذت أنا اطلع على إحدى المراجع، أما هم فقد أخذ كل منهما يتحدثان بصوت مرتفع ويمضغون العلكة، فسألتهم الهدوء قليلًا و لكن دون جدوى وفي اليوم التالي فعلوا نفس الشئ، وقد لاحظت أنا أن مشرفة المكتبة متضايقة مما يفعلونه فقلت لهم :

ـ أنا لن آتي معكما بعد الآن، ولن أساعدكم في البحث الذي تقومان به

قال كريم: حسنًا يا باسل سنقوم نحن بإنهاء البحث بمعرفتنا.

كانت سياسة المكتبة تقتضي بعدم استعارة المراجع الخاصة بالكليه ولذلك عندما أراد كريم وسامح انهاء البحث سريعًا قاما بقطع بعض الأوراق من المراجع، فوجئت بفعلتهم فقلت لهم :

ـ ما فعلتموه خطأ فتلك المراجع أمانة، كيف تفعلون ذلك؟

سامح: أمانة! هل هناك من يذكر تلك الأشياء هذه الأيام؟

كريم: لا تقلق لن يحدث شيئًا

ثم غادر كل منهما و لم أعرف ماذا أفعل معهم، هل أشي بهم أم أصمت؟

ثم نظرت بتلقائيه إلى مشرفة المكتبة و فكرت أن اصارحها بما حدث، ولكنها كانت قد غادرت المكتبة فعدت إلى المنزل وأنا ضميري يؤنبني بشدة.

في اليوم التالي ذهبت إلى المكتبة و قررت أن اصارح المشرفة بما حدث، ولكنها لم تمهلني فقد فوجئت بها تقول لي :

- لقد راجعت المراجع التي كانت معكم بالأمس واكتشفت ما فعلتوه بها وعندما جلست مكانكم التصقت العلكة بملابسي، أنا لا أعرف أي إهمال هذا! وماذا أفعل معكم؟

- صدقيني أنا لم أفعل شيئًا مما تقولينه فأنا احترم سياسة المكتبة، ولا أفعل تلك التصرفات الصبيبيانية

- وأنا سأتعرض للفصل بسبب فعلتكم تلك

- أنا مستعد لتحمل المسؤولية عما فعلوه زملائي

وجدتها تنظر لي في شك ثم غادرت مسرعة.

وفي اليوم التالي كنت متواجد في محاضرة للدكتور عمر و لم يكن سامح أو كريم حاضران وإذا بفتاة

المكتبة تدخل أثناء المحاضرة، ثم أخذت تتحدث إلى الدكتور وبعد ذلك ظلت تبحث بعينيها بين الحاضرين ورأتني و مع ذلك حركت رأسها يمينا ويسارا، ثم رأيت الدكتور عمر يقول لها شيئًا أحزنها كثيرًا، ثم ذهبت، بالطبع فهمت أنا أنها لم تريد أن تشي بي وآثرت الصمت حتى لا تؤذني فشعرت بالذنب الشديد و قررت أن أصارح الدكتور بما حدث بالضبط، ولكنه فور انتهاء المحاضره التف الحاضرين حوله و لم أعرف أن أصل إليه .

في اليوم التالي ذهبت إلى المكتبة وكنت أنوي أن أتحمل مسؤولية ما فعله كريم و سامح و بحثت عن المشرفة فوجدت شخص يجلس مكانها فسألته:

- أين الفتاة التي كانت تجلس هنا؟

- هل تقصد فريدة؟ لقد تم فصلها

صُدمت بشدة، فسألته عن رقم هاتفها فأخبرني بأنه لا يعرفه حزنت كثيرًا، و شعرت برغبة قوية لرؤيتها والاعتذار لها ولكن كيف سأجدها؟

ذهبت إلى الدكتور عمر وأخبرته بكل شئ فقال لي:

- أنا أعرف جيدًا أنك لن تفعل شيئًا كهذا، ولا تقلق فسامح و كريم قد خضعا للتحقيق بالفعل ولكن لسبب آخر

- لذلك لم أراهم منذ فترة، و لكن كيف أجد فريدة؟

- لا أعرف و لكن إن وجدتها ابلغها اعتذاري لها فقد اتهمتها بالإهمال.

عدت إلى المنزل وأنا مثقل بالهم ورأتني والدتي على ذلك الحال فسألتني :

- ماذا بك ؟ لم يبدو عليك الهم؟

أخبرتها بكل شئ فقالت لي : أنا أرى أنك لم تخطىء في شيء

- و لكن تلك الفتاة قد ظُلمت بسببي

- ليس بسببك أنت، فأنت اعترفت بما حدث، ادعو إلى الله وستجدها إن شاء الله لتعيدها لعملها مرة أخرى.

دعوت الله كثيرًا أن أجدها وأراها وأتحدث إليها وكلما خلدت للنوم أراها في أحلامي، وأصبحت أمنيتي أن أراها وأخبرها بأن المشكلة قد انتهت لتعود لعملها من جديد.

اضطررت أن أذهب إلى المكتبه لأنهي بحثي وكان معي بعض من زملائي، وعندما كنت مشغولًا في الكتابة إذا بي أسمع من بين حديث الفتيات خلفي اسم (فريدة) فانتبهت إلى حديثهم فوجدت إحداهم تقول :

- مسكينة فريدة لم تكن تستحق ما حدث لها، فهي كانت تحتاج لهذا العمل

التفت إليها و سألتها : هل تعرفين فريدة؟

- نعم إنها صديقتي

- هل لديكِ رقم هاتفها و عنوانها؟

استغرقت و قتا طويلًا حتى أقنعتها، ثم اعطتني رقم هاتفها وعنوانها و فور عودتي إلى المنزل اتصلت بها فوجدت هاتفها خارج الخدمة فخاب أملي كثيرًا، ولكني لم أقف عند ذلك طويلًا فقررت أن أذهب إليها في منزلها وليكن ما يكون.

أخذت أبحث عن عنوانها كثيرًا إلى أن وجدته بعد بحث طويل وقد كان الناس يتهربون مني كلما سألتهم على ذلك العنوان، وقد أخبرني شخصين في النهاية بعنوان منزلها وأخبروني بشيئًا غريبًا أيضًا، فقد أخبروني

بوجود أشباح تسكن في منزلهم ويجب أن احترس عند زيارتهم، واندهشت من حديثهم كثيرًا، ولكني مع ذلك كنت مُصرًا على مقابلتها وإن كان هذا آخر عمل أقوم به في حياتي.

توصلت لمنزلهم أخيرًا، ثم طرقت الباب أكثر من مرة ولم يجيبني أحد فطرقت الباب مرة أخيرة في يأس ثم انفتح الباب أخيرًا ورأيت شخص يبدو أنه كان نائمًا فسألته:

ـهل هذا منزل الآنسة فريدة؟

- نعم، من أنت؟

- هي لا تعرف اسمي ولكني أتيت لها بخصوص المشكلة الخاصة بعملها بالمكتبة

- ماذا! أي عمل؟

- عملها بالمكتبة كمشرفة

ثم وجدته يقول لي : أنا آسف، تفضل

ادخلني إلى المنزل وجلست أنا وهو في غرفة الصالون، وقال لي:

ـ معذرًة، أنا لا أفهم شيئًا مما تقول فأنا أختي لا تعمل من الأساس

- و لكن أليس اسمها فريدة؟

- نعم و لكنها لا ...

وجدته يفكر قليلا ثم قال: هل هذا معقول؟! لماذا يا فريدة؟ ماذا أفعل أكثر من عملي ليلًا و نهارًا، ماذا أفعل أيضاً؟

- أرجوك اهدأ، يبدو أنني بدلًا من أن أحل مشكلة قد أضفت أخرى

- أرجوك أنت أخبرني بأي عمل كانت تعمل، وما تلك المشكلة التي حدثت معها؟

أخبرته بكل شئ وأنا متردد ولم أكن أعلم ما أفعله إذا كان صح أم خطأ، وبعد أن انتهيت من إخباري له بحكاية المكتبة؛ فإذا به يقول لي :

ـ أشكرك كثيرًا على ما تكبدته من عناء البحث عن أختي، ولكنها لن تعود إلى ذلك العمل مرة أخرى، فأنا رافضًا تمامًا لفكرة عملها من الأساس، حتى لا تتعرض للمتاعب كما سمعت منك الآن ويكفي ما يحدث معنا، وأعتقد أنك قد علمت شيئًا مما نمر به أثناء بحثك عن عنواننا

- عن أي شئ تتحدث ؟

- عن ما يتداولونه الناس عنا

ـ فهمت، تقصد تلك الأشباح التي تسكن منزلكم

- نعم والتي ادعى وجودها ببيتنا تاجر بالمنطقه، كان يريد أن يشتري بيتنا ولكننا رفضنا طلبه تمامًا، وقد حاول معنا كثيرًا، وعندما نفدت منه الحيل لم يجد سوى حيلة الأشباح التي تسكن منزلنا، ومنذ وقتها لا يريد أحد أن يسكن منزلنا وأصبح لدينا بيتًا نملكه، ولكنه فارغ عدانا و نكاد نأتي بقوت يومنا

- أنا آسف لسماع ذلك و لكن لماذا لا تفكر في بيعه لتستريح؟

- هذا البيت ورثناه أنا وأختي عن والدي رحمه الله، وقد كنت أود أن احتفظ به بناءًا على رغبته، أنا آسف حقًا أنني أخبرتك بكل ذلك، فأنت أول شخص أخبره بتلك الحكاية، فقد فاض بي الكيل

- لا عليك فأنا حقا سعيد بمقابلتك، ولكني كنت أود أن أتحدث إلى الآنسة فريدة وأطلعها على ما حدث

- مع الأسف هي غير موجودة و ستتأخر، ولكن عندما تأتي سأخبرها بكل شئ، بالمناسبة ما اسمك؟

- أنا باسل.

وبعد تلك المقابلة مع أخيها لم أحاول الاتصال بها، ومضت الأيام وانهيت بحثي واستلمت عملا كبيرًا في مجال دراستي، وقد كان والداي سعيدان بما حققته كثيرًا، ولكني لم أكن كذلك فقد كان ينقصني شئ هام، فكنت أريد بشدة أن أرى فريدة التي شغلت فكري كثيرًا، وتأكدت أنني كنت أبحث عنها لسببًا آخر، سبب يدق له قلبي أخذت أفكر فيها كثيرًا، إلى أن وجدتني في يوم فجأة أمام بيتها، ورأيت أسفل بيتها سيارة نقل كبيرة وبعض من الأثاث عليها، وما لفت انتباهي هو أنني قد رأيته في بيت فريدة من قبل عندما كنت أتحدث مع أخيها، وصلت إلى شقتها أخيرًا فسمعت صراخها و هي تقول : أرجوك اتركني وشأني

ثم سمعت صوت لرجل يقول بحدة: قلت لكِ انزعي ذلك الذهب كله الآن و إلا ...

أسرعت إليها لأجد ذلك الرجل يرفع عليها مطواه، وعندما رآني أشهر المطواه في وجهي، وعندما قاومته جرحني في يدي فصرخت فريدة لعل يسمعها أحدًا بالشارع فيأتي لنجدتنا فهرب الرجل مسرعًا وجرت فريدة نحوي لتطمئن عليّ و قالت:

- أنت تنزف، يجب أن نذهب إلى المشفى حالًا

- اطمئني الجرح سطحي

- و لكنك تنزف، سآتي إليك ببعض الإسعافات

ذهبت وأتت بحقيبة الإسعافات وجلست إلى جانبي تضمد لي الجرح ثم قالت :

- أشكرك لقد أنقذتني وأرهقت نفسك من أجلي كثيرًا

- أنا لم أفعل شيئًا، ولكن من كان ذلك الرجل؟

ـ إنه أحد عمال نقل الأثاث

ـ ولكن أليس من الغريب أنه لم يأتي أحد لنجدتنا برغم صراخك؟!

ـ الناس هنا تبتعد عنا وتتجاهلنا تماما، و لكن ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

ـ أنا كنت أريد أن أتحدث إليكِ في أمر

ـ نعم لقد أخبرني أخي بكل شئ، ولكني لن أعود لذلك العمل فأخي يرفض فكرة عملي تمامًا، ولقد قام ببيع المنزل من أجلي

ـ و لكن كيف يتركلكِ و حدكِ هكذا مع العمال ليتجرأ عليكِ أحدهم كما فعل ذلك الشخص الخسيس؟!

ـ أنا لم أكن وحدي فقد كان معي أخي، ولكنهم استدعوه في العمل لأمر هام، فذهب مسرعًا وقال أنه سيبعث بأحد ليقف معي ثم حدث ما حدث

- و لكن أين ستنتقلون ؟ أنا أريد أن أراكِ وأتحدث معكِ

- تتحدث معي! لم ماذا تريد؟

تلعثمت ثم قلت: أنا كنت أبحث عنكِ لسببين الأول كان جليًا والآخر كنت أجهله ولكني عرفته الآن

وجدتها تهرب بعينيها مني في حياء فجذبتني إليها أكثر وشعرت أنها فتاة أحلامي التي لطالما كنت أبحث عنها فقلت لها:

- أنا أريد أن أراكِ كثيرًا، وأتحدث معكِ في أشياء عدة

قالت في خجل: أنا لا أفهم ماذا تريد مني بالضبط

وجدت أنه لا مفر من الصراحة فقلت: أنا أريدكِ في حياتي يافريدة.

ومرت الأيام وارتبطت بفريدة، وحصلت على كل ما أتمناه وأكثر فقد حصلت على فتاة المكتبة.

فوبيا الحب

جلست مها تحتسي قهوتها وهي تشاهد التلفاز ثم دخلت عليها أختها منى وقالت لها :

ـ امازلتي مصرة على عدم الذهاب معي؟

قالت مها : وما الذي سيجعلني أغير رأيي

منى : ولكنك أختي الكبرى، كيف لا ترافقينني في شراء أجهزة منزلي المستقبلي؟

قالت مها : أنتِ قولتها بنفسك إنه منزلك أنتِ وليس أنا، ولا أريد التأثير على رأيك

قالت منى بنفاذ صبر : حسنًا كما تشائين

ذهبت منى وتركت مها جالسة مكانها تفكر فيما قالته أختها، فقد تكون محقة وتحتاجها معها بالفعل حيث لم يكن هناك من يرافقها غيرها، فقد كانت مها ومنى يتيمتان ويعيشان بنفس المنزل مع جدتهم وبالرغم من

منازهة مها الثلاثون إلا إنها لم تتزوج بعد بل ولم يسبق أن تمت خطبتها من قبل، وقد كانت منى أختها تريد تأجيل زواجها حتى تتزوج أختها الكبرى أولًا ولكن مها رفضت ذلك تمامًا؛ لأنها لن ترتبط إلا بمن يقتنع عقلها به، وهذا بالطبع لم يحدث من قبل لأنها كانت دومًا تصد من يحاول الإقتراب منها قبل حتى أن تحاول التعرف على نواياه، فقد كانت دومًا تفترض سوء النية، وكانت تقنع نفسها وقتها بأنها تنتظر شيء معين أو شعور بعينه لكنه لم يكن الحب على الإطلاق كان شيئًا آخر، مثل الشعور بالأمان بجوار شخص ما، فذلك ما كانت تحتاجه في حياتها خاصة و أنها لم ترى في حياتها علاقة زواج سوية، فهي لم ترى سوى الخلافات وحالات الطلاق وتشرد الأطفال بل ولم يخلو منزلهم من هذا أيضا، فقد شاهدت الكثير بين والديها بأم عينيها وربما أثر ذلك على نفسيتها، وحاولت بعد ذلك حماية نفسها فحجبت

قلبها عن أي رجل وابتعدت قدر الإمكان عمن يحاولون الإقتراب منها، وحتى من شعرت نحوه ببعض المشاعر قد بترتها باختلاق العيوب به لتكرهه، ومرت سنوات عمرها هكذا، وها هي تشهد حفل زفاف أختها الأصغر منها.

في يوم الزفاف ظلت مها إلى جانب منى تساندها وكان يومًا جميلًا، ولم يعكر صفوها سوى شاب ظل طوال الحفل ينظر لها ويتابعها بعينيه، وبالطبع كانت هي تتهرب من نظراته لها، وكلما انتهز الفرصة وحاول الإقتراب منها كانت هي تتهرب منه وتبتعد ولكن ذلك الشاب لم ييأس فقد لجأ لجدتها ليتعرف عليها، ولم تُكذب الجدة خبرًا، وقد شعرت بما يشعر به نحوها، كانت تريد أن تفرح بمها هي الأخرى وتطمئن عليها كما اطمئنت على أختها، لم تكن مها سعيدة بتلك المبادرة منه ومحاولته المستميتة بمحادثته إياها، فجلست أمامه ولم

تفتح فمها بكلمة عَرَف هو عن نفسه وكان يُدعى أدهم وتحدث كثيرًا، وقد كانت الجدة سعيدة به أما عن مها فلا. انتهى حفل الزفاف وقد كانت مها سعيدة برغم نظرات الناس لها وهمسهم من خلف ظهرها وتساؤلهم عن سبب عدم زواجها إلى الآن، وكيف أن الأخت الصغرى تزوجت قبل الكبرى وكثير من تلك الترهات، بعد حفل الزفاف بيومين فوجئت مها بأن جدتها تسألها عن رأيها في أدهم، وقد حاولت أن تتهرب منها لكن جدتها لم تعطيها فرصة، وقد فاجئتها بأنها قد عزمته عندهم في المنزل حتى تتيح لها الفرصة وتتعرف عليه ولم تستطع مها الرفض أو التهرب من جدتها، عندما جلست معه تحدث هو كثيرًا، أما هي فقد آثرت الصمت وكانت جدتها مبهورة به وبشخصه، خاصةً وأنه كان يعمل عملًا مربحًا، ويمتلك منزل وسيارة ولا ينقصه شيء. عندما غادر جلست الجدة تتغنى في صفاته

وتمتدح في أخلاقه وما يمتلكه، ولكن مع ذلك لم تتزحزح مها عن موقفها وعندما سألتها الجدة عن رأيها فيه قالت مها :

ـ لا أرتاح له ولم أشعر نحوه بشئ

قالت الجدة : أتركِ له فرصة فهو عريس لا يعوض ولا ينقصه شيئًا

استفزتها جملتها فقالت : أنا لا أفهم لم العريس يتقدم للعروس ويستعرض إمكانياته لها مزهوًا بما يمتلكه؟! وكأنه جاء ليشتريها وليس ليتزوجها!

الجدة: ولكنه لم يفعل ذلك فهو كان يتحدث بحسن نية عن إمكانياته، إنه شخص جيد خبرتي في الحياة تؤكد لي ذلك

مها : أنا لا أريد الارتباط به، فأنا لست سلعة يأتي ويستعرض نفسه ويقوم بشرائها

ثارت الجدة وقالت : أنا سئمت من تلك الحجج الفارغة، أنا أراه مناسب لكِ وأرجو منكِ مراجعة نفسك والتفكير جيدًا، خاصَّة وأنه سيأتي المرة القادمة بصحبة والدته.

شعرت مها بالقلق و أنها تُجبر على ذلك ولكن لم تستطع معارضة جدتها، وجاء أدهم ووالدته وقابلتهم الجدة بترحيب شديد، وقد تعمدت مها التأخر عليهم، وفي النهاية جلست معهم وأعرب هو عن رغبته في الارتباط بها ورحبت الجدة كثيرًا، ولكن طلبت مها منهم فرصة للتفكير، وغادر أدهم وهو سعيد، فقد اعطته الجدة أملًا في استجابة طلبه، وقد قررت أن تحاول إقناع مها بشتى الطرق لتوافق عليه وبالفعل قد حدث.

لم تصدق مها نفسها وهي تجلس في غرفة الصالون خاصتهم وترتدي في إصبعها تلك الحلقة الذهبية الدائرية في يديها، والتي تسمى بالدبلة فقد كانت في الحقيقة وكأنها أساور ووضعت بيديها لتقيد حريتها، كانت تشعر

وكأنها نار تحرق يديها، وحاولت الابتسام غصبًا بالضغط من جدتها، أما عن أدهم خطيبها فقد كانت سعادته لا توصف يومها، بعد ذلك كثرت لقاءاتهما في منزل جدتها، فقد كانت ترفض الخروج معه وحدهما وكانت قلما تتحدث إليه، وحاول هو كثيرًا غزو قلبها ولم يفلح في ذلك، وذات يوم افجعها الموت بوفاة جدتها وتركت في نفسها أثرًا بالغًا، وظل أدهم إلى جانبها يساندها ويحاول أن يخفف عنها، ولكن دون جدوى فقد كان كلما اقترب منها شِبرًا ابتعدت هي عنه أمتارًا، ولم يخفى عليه صدها له، فجلس معها ذات يوم وسألها :

ـ لماذا تبتعدي عني، لماذا تصدينني ؟

أجابته وقالت : أنا آسفة حقًا، فقد حاولت أن أبادلك مشاعرك وفشلت

قال : لماذا تعزفين عن الحب وتخشين منه؟ من الذي جعلكِ بتلك الحالة؟

قالت : لم يكن هناك أحد من الأساس، فأنا كنت هكذا دومًا، ولم ولن أشعر بالحب إتجاه أحدًا

قال : خسارة، فأنا أحبكِ حبًا لم ولن يحبكِ أحدًا مثله، لقد حاولت أن أغير من مفهومك عن الحب، ولكن يبدو أن قلبكِ هو ما به مشكلة، فأنتِ اوصدتي أبوابه عن زواره واعلنتي عليهم الحرب جميعًا، أنتِ مع الأسف عندكِ فوبيا من الحب وتخشين الوقوع به وسامح الله من كان السبب في جعلكِ هكذا.

استمعت له مها باندهاش فقد كان حديثه معها صحيحًا تمامًا وهي نفسها لم تكن تفسر ما تفعله كما هو قد فسره لها، ذهب أدهم وأخذت هي تفكر وتقول لنفسها: لن أشعر بالوحدة ولن افتقده، حتى وإن كان محق فلن أغير من رأيي، لفت انتباهها أنه قد نسي هاتفه على الطاولة فأمسكته بين يديها وقامت بفتحه بتلقائية، فظهرت لها صورتهما معًا بيوم الخطبة، ولم تعرف لِم شعرت بالندم

ودمعت عينيها، فسألت نفسها: هل أحببته أم اعتدت وجوده بحياتي؟! وعندما لم تتلقى الإجابة من نفسها جاءت الإجابة من مصدر آخر، عندما عاد أدهم ليستعيد هاتفه فوجده بين يديها ولمح الدموع تلمع في عينها فقال:

ـ لقد نسيت هاتفي وجئت لآخذه

قالت: تفضل ها هو

نظر لها برجاء وقال: هل أجلس أم أمضي في طريقي ولا أعود؟

قالت وقد دُهشت من نفسها: إجلس يبدو أن هناك حديث آخر سيدور بيننا

جلس أدهم وهو سعيد وما كان نسيانه لهاتفه سوى ذريعة ليعود إليها على أمل أن تغير من رأيها، أما عنها فقد قررت أن تعطي له فرصة وتفتح أبواب قلبها الموصدة، وقد قررت أن تخضع للعلاج من فوبيا الحب.

يحدث في العزاء

في سرداق عزاء كبير جلس المقرىء يتلو القرآن بخشوع إلى أن وصل لآخر آية من سورة الفجر، وفي سرداق عزاء السيدات جلست سيدة كبيرة تبكِ بحرقة، والتف حولها فتاتان هما ابنتاها يشدون من أزرها، تذكرت تلك السيدة ابنتها رحمة قبيل وفاتها عندما كانت تردد في أواخر أيامها تلك الآية الكريمة، فقد شعرت رحمة بقرب نهاية أجلها، ولكنها مع ذلك كانت في ثبات تام ولم تُشعر أحد من حولها بما تشعر به.

جلست خمسة فتيات في دائرة، لم تكن تعرف واحدة منهم الأخرى، الأولى كانت هند، وقد كانت هند صديقة رحمة منذ المرحلة الابتدائية ولم يفترقا يومًا وكانت رحمة تقف إلى جانب هند وتدافع عنها إذا لزم الأمر، كانت علاقة الصداقة بينهما شبيهة بعلاقة طفلة ووالدتها، واحدة تخطىء والثانية تُقوم خطأها وتشير بالنصيحة

عليها، وكانت رحمة هي من تقوم بهذا الدور. كبرت الاثنتان وتزوجت هند ولم تبخل عليها رحمة بالاستشارة على الرغم من عدم خوضها تلك التجربة، ومرات عديدة جاءت لها هند لتشكو لها من زوجها وأنها ماعادت تتحمله وتريد الطلاق منه، ولكن رحمة كانت تشير عليها بالصبر عليه واستشهدت بقصص من تجارب صديقاتها المتزوجات وما يحدث معهم، واشارت عليها بمحاولة فهمه وخلق نوع من الود والتفاهم بينهما، وعملت هند بنصيحتها ومع الوقت قلت الخلافات ولم تعد تشكو لها إلا قليلا. أخذت تتذكر هند بذلك الصباح عندما اتصلت عليها أخت رحمة الصغرى وأخبرتها بوفاة رحمة، كانت بالطبع صدمة كبيرة على هند وشعرت بالذنب لأنها لم تسأل على صديقتها منذ مدة، ندمت على ذلك وكم تمنت لو كانت تتحدث معها كل يوم

وتكون إلى جانبها بآخر أيامها وتقول لها أنها تحبها كما لم تحب أحدًا من قبل.

جلست الفتاة الثانية حزينة ولم تستطع أن تكبح دموعها، فأخذت تبكِ في صمت، كان اسمها نرمين، تعرفت نرمين على رحمة بالمرحلة الثانوية، وكان من العجيب أن رحمة برغم معرفتها بها الحديثة إلا إنها تعلقت بها سريعًا، وبالمثل كانت نرمين فقد شعرت نرمين أنها أخيرًا وجدت ضالتها المنشودة، وجدت صديقة نسخة منها وتفهمها أكثر من والديها، وعندما تفرقت الاثنتان لدخول كل منهما كلية مختلفة، ظلت الصلة بينهما كما هي، حتى بعد أن تزوجت نرمين، كانت رحمة إلى جانبها، ولم تنسى نرمين عندما تقدم لها زوجها وقتها أشار عليها الكثير برفضه لأنهم كانوا يرون أنه غير مناسب لها، وحدها كانت رحمة التي أشارت عليها ألا تظلمه وتعطيه فرصة وتصلِ صلاة استخارة، وفعلت

نرمين ذلك وتزوجته بالفعل، ولم ترى أحدًا في طيبة قلبه، فصانها وكان لها نعم الزوج الصالح، أخذت تتذكر نرمين عندما علمت بخبر وفاة رحمة عن طريق رسالة عزاء على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، وقتها وقع قلبها بقدمها وكادت أن تتوقف دقاته، شعرت بالندم لأنها لم تكن قريبة من رحمة بالفترة الأخيرة.

جلست الفتاة الثالثة، والتي كان اسمها زينة، وقد تعرفت زينة على رحمة بمرحلة الجامعة، أخذت تتذكر زينة عندما كانت بأول يوم في الجامعة كانت تشعر أنها تائهة وسط كل زملائها الكثر والتي لم تكن تعرف أي منهم، كانت رحمة مثلها لاتقل عنها في شعورها بالقلق ولكنها مع ذلك تظاهرت بالقوة وهي تتحدث مع زينة فاطمئن قلب زينة ولم تعد ترهب الجامعة وجموع الطلاب الغفيرة بها، قضت الاثنتان أوقات جميلة بالجامعة، وقاما بالعديد من الرحلات سويًا، كانت بينهما ذكريات جميلة

كثيرة، وعندما أحبت زينة رجلًا وتعلقت به، كان يطلب منها أشياء لتفعلها وتلك الأشياء كانت تلغي وجودها وكأنها كائن أدنى منه، كانت تشعر بالحيرة من إمكانية تنفيذها وخشيت أن ترفض فتخسره وهي كانت تحبه، وعندما أخذت بمشورة رحمة قالت لها أن تبتعد عنه لأنه يحب نفسه فقط وأنه لا يبحث عن شريكة لحياته بل يبحث عن خادمة تطيع أوامره فقط، وبرغم صعوبة ابتعادها عنه إلا إنها نفذت نصيحة رحمة، وابتعدت عنه بالفعل، وبعد ذلك كشفت لها الأيام أن رحمة كانت على حق، وكان لرحمة الفضل في زواج زينة، والتي كانت رافضة تمامًا لفكرة زواج الصالونات، ولكنها استخارت الله قبلها، ثم جلست مع العريس وارتاحت له، وبعد أن تزوجت زينة أكدت لها الأيام أن زوجها إنسان جميل، لكن بالطبع لم تخلو أيامها من المشاكل، وفي كل مرة كانت تذهب إلى رحمة، لم تكن تبخل عليها

بالنصيحة وطرح العديد من الحلول لها، أخذت تتذكر زينة عندما علمت بخبر وفاة رحمة من صديقة لها، شعرت بأن أجمل ما بالحياة قد اختفى وإلى الأبد.

جلست الصديقة الرابعة، والتي كان اسمها سجدة، كانت سجدة هي جارت رحمة، فمنذ أن تزوجت سجدة بتلك العمارة لم تتعرف على أحدٍ منها، وحدها كانت رحمة من توددت إليها وبادرت بالتعرف عليها، كانت سجدة معترفة أنها انطوائية بعض الشيء، فلم تكن تأخذ على الناس بسهولة ولكن الوضع مع رحمة كان مختلف تمامًا، ولم تنسى أبدًا سجدة عندما حدثت مشكلة كادت أن تعصف بزواجها فوقفت رحمة إلى جانبها، وأيضًا عندما أنجبت سجدة مولودها الأول لم تجد أحدًا من أهلها قريب منها سوى رحمة التي ظلت إلى جانبها أثناء الولادة وما بعدها، وبعد ذلك حدثت لسجدة مشاكل مع زوجها أدت بها إلى الطلاق من زوجها، وتخلى عنها الجميع حتى

أهلها ولكن لم تتخلى رحمة عنها، فوقفت إلى جانبها وبحثت لها عن عمل ليشغل وقتها وتجد ما تصرف منه، وبعد أن كانت تملأ حياتها الهموم، أصبح لا مجال للهموم في حياتها برفقة رحمة صديقتها، أخذت تتذكر سجدة عندما عرفت بخبر وفاة رحمة عندما سمعت صوت والدتها وهي تصرخ وتبكِ فراق ابنتها.

كانت أخت رحمة تتحدث مع هند، وعندما سمعت نرمين اسم هند يتردد اقتربت منها وقالت: هل أنتِ هند صديقة رحمة منذ الطفولة؟

هند: نعم أنا

نرمين: أنا نرمين، صديقة رحمة منذ المرحلة الثانوية

هند: أنا اعرفك فقد تحدثت رحمة عنكِ كثيرًا

نرمين: وتحدثت معي عنكِ أيضًا كثيرًا، تشرفت بمعرفتك

هند: وأنا أيضًا

انضمت لهم زينة وقالت: أنا أعرفكم، فقد تحدثت عنكم رحمة معي كثيرًا، وكم وددت أن ألقاكم بسبب حكايتها عنكما

هند: ومن أنتِ؟

زينة: أنا زينة...

قالتا الاثنتان معًا: صديقة رحمة من الجامعة

زينة: هذا صحيح، هل تعرفونني.. أنا أيضًا أعرفكم؟

هند: لقد كانت رحمة تتحدث عنكِ بكل خير دومًا

زينة: رحمها الله

انضمت لهم سجدة وقد سمعت حديثهم، وقالت:

ـ أنا أعرفكم أنا أيضًا، أنا سجدة جارت رحمة

قال الثلاثة: نحن نعرفك أيضًا من حكايات رحمة عنكِ

سجدة: ليتنا تجمعنا كلنا سويًا في حياتها

قالت هند: ليتها بالفعل كانت وسطنا الآن

نرمين: كانت ستجعل هذه الجلسة مختلفة بالتأكيد كليًا حتى وإن كانت تحمل ألف هم فوق كتفها

زينة: معكِ حق، فقد كانت لديها روح نقية وكانت خفيفة الظل تدخل القلب من أول وهلة

سجدة: ألا تعرف أي منكم من تلك الفتاة التي تجلس هناك؟

هند: أنا لا أعرفها، يبدو عليها الحزن الشديد، وكأنها كانت تعرف رحمة حق المعرفة!

قالت زينة: هيا نذهب إليها ونتعرف عليها

اقتربوا جميعًا من تلك الفتاة والتي كانت الصديقة الخامسة في تلك الدائرة، وقالت لها هند: نحن أصدقاء رحمة، وكنا نعرفها منذ زمن، هل أنتِ صديقتها أيضًا؟

قالت الفتاة من بين دموعها:

ـ أنا أعرفكم جميعًا، أنا رقية كنت صديقة رحمة وتعرفت عليها بالمشفى من خمس سنوات

سجدة: مشفى!

رقية: نعم، رحمة كانت مريضة بالسرطان

شهقت الصديقات الأربعة وقالت إحداهم بدهشة: سرطان!

رقية: هي لم تخبر أحدًا ممن حولها، فقط والدتها وأخواتها كانوا يعلمون بمرضها

هند: ولكن كيف لم تخبرني وأنا صديقة عمرها؟!

رقية: هي لم تكن تريد أن تضايق أحد ذلك أخفت مرضها، آثرت أن تكون هي النور الذي يشع لمن حولها، وهذا ما جعلها تتمسك بالحياة؛ فقد تمسكت بالحياة لأجل عائلتها وأجلكم

نرمين: لهذا لم تتزوج!

رقية: لم تكن حالتها تسمح بالزواج، ولكنها كانت تعتبر أطفالكم أطفالها

هند: أنا لا أصدق أنني لم أشعر بأنها مريضة كل تلك المدة! كم كنت أنانية لاذهب لها وأتحدث عن حياتي ومشاكلي دون أسمع لها

نرمين: وأنا أيضًا، لم أشعر ولا لحظة بمرضها

قالت كل من زينة وسجدة نفس الجملة السابقة، ثم قالت رقية:

ـ حتى أنا لم أكن سأعرف بمرضها لولا أنني كنت رفيقتها بتلك الرحلة المريرة، وقد كنت في بداية علاجي خائفة، ولم أكن خائفة على نفسي ولكن كنت خائفة على أطفالي، فهم صغار وقد سيطرت على فكري فكرة أنني سأموت واتركهم وحدهم، كان القلق يسيطر عليّ، ثم

أتت رحمة وحضرت معي أول جلسة كانت صامدة ويعلو وجهها ابتسامة رضا كبيرة جعلتني اندهش، كيف كانت بكل ذلك الهدوء والبرود؟! ومرت الأيام وعرفت السبب، فكان وراء هدوئها وثباتها الرضا بقضاء الله، وأنه لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا

زينة: احكِ لنا كيف كانت بأيامها الأخيرة؟

رقية: كانت هادئة للغاية وكانت تتحدث عنكم كثيرًا، وكثيرًا ما أضحكتني ققصكم معها، فكنت وكأنني حضرت كل لحظة كنتم بها معها، كانت سعيدة وراضية وأكثر ما كان يسعدها وتردده على الدوام، أن الله رزقها في حياتها بالناس الطيبين، فلم تقابل الخائن ولا اللئيم، وكانت ترى أن ذلك هو الكنز الذي حصلت عليه بالدنيا، وقد اوصتني أن أخبركم أن لا تفتقدونها ولا تلوموا أنفسكم على بعدكم عنها، وأنها لن تتركنا وستظل بروحها معنا وحولنا جميعًا

أخذت الأصدقاء الأربعة في البكاء، فأمسكت رقية بيد هند من يمينها وبيد نرمين بيسارها، وكذلك فعلت كل من سجدة وزينة، والتفوا في دائرة وأمسكوا بيد بعضهم وأخذوا يدعون لرحمة كثيرًا، ومن بعدها لم يفترقوا يومًا، وأصبحوا أصدقاء، وكانوا يجتمعون على الدوام ولم تفارقهم رحمة فقد كان اجتماعهم من الأساس بسببها، فاجتمعوا على حب رحمة ولم يتفترقوا أبدًا.

عبقرية المرأه في قلبها

فرحت رحمة كثيرًا عندما قوبلت بكلية الطب وأصبحت على مشارف تحقيق حلمها الصغير، لم يعكر صفوها سوى والدتها التي رأت في ذلك أنها تضيع سبع سنين من عمرها هباءًا، ولكن رحمة أحبت إحساس احتياج الناس إليها وذلك الشعور وُلد بداخلها منذ أن كانت تعتني بأخويها وهم صغار؛ نظرًا لأن والدتها كانت تعمل ومشغولة كثيرًا وتركت على عاتق رحمة هذه المهمة ومع ذلك عندما كبر أخويها لم يلقوا لها بالًا ولم يراعوا ما فعلته من قبل معهم، وكم حزنت هي لذلك، ولكنها وجدت ما يعيد لها ذلك الإحساس من جديد في أن تعتني بالمرضى وتساهم ولو بالقليل في تخفيف آلامهم.

في إحدى الأيام ذهبت رحمة مع شقيقها إلى النادي لتشجعه وهو يلعب كرة القدم في مباراة تنافسية، وأخذت هي تشجع شقيقها بقوة وحماس ولاحظ ذلك شخص كان يجلس بالقرب منها، ولم يستطع أن يرفع عينه من عليها، وقرر أن يستعلم عنها فقد أراد أن يتعرف عليها بشدة، وبعد انتهاء المباراة جلست هي مع شقيقها في الكافتيريا وجلس ذلك الشخص هو أيضًا بالقرب منهم وانتهز الفرصة وسأل عنها هناك.

في إحدى الأيام فوجئت رحمة بأخيها يخبرها بأن هناك شخص قد تعرف عليه من النادي قد أبدى إعجابه بها ويريد أن يرتبط بها فرفضت بشدة لأنها كانت في بداية خطواتها لتحقيق حلمها، ولكن عندما علم أبويها بالأمر رحبا كثيرًا بذلك الشخص نظرًا لأنه كان ميسور الحال على حد قول شقيقها، ولكنها مع ذلك رفضت أن تقابله؛ فألح عليها والدها أن تجلس معه مرة واحدة ويمكنها

بعدها أن ترفضه ورضخت هي لطلبهم، وقابلته بالفعل في النادي برفقة شقيقها، وجلسوا وحدهم ليتحدثوا سويًا وكانت هي متحفظة بعض الشيء؛ فبدأ هو بتعريف نفسه وتحدث عن حاله كثيرًا، ثم وجدها وكأنها لم تسمع منه شيئًا فسألها:

ـ هل انتبهتِ لحديثي؟

فأجابته: بصراحة لا

فقال: سأخبرك بالحقيقة إذن لعلكِ تنتبهي إلى حديثي قليلًا،

أنا اسمي باهر محسن عبد الرحمن ولكني لا أعرف من هو أبي الحقيقي ولم أراه مع الأسف، فلقد نشأت أنا وأخي التوأم بدار للأيتام ..

عندما رأى الدهشة بادية على وجهها قال:

ـ أرجوكِ لا تندهشي فكثير مما حولنا زائف بالفعل فدعيني أكمل لكِ . كانت الدار بالنسبة لنا الأمان والحماية، ولكننا لطالما أردنا الشعور بالحنان أيضًا في ظل الأسرة ودفئها، وعندما تكفل بنا رجل أعمال كبير لم يكن ينجب أحسن إلينا، ولم يبخل علينا في شيء ثم توفى وترك لنا ما جعلنا من ميسوري الحال، إلا إنه كان ينقصنا نفس الشيء الذي افتقدناه من قبل ألا وهو الحنان والعطف والحب، وقد تجمع الثلاثة بكِ.

رآها مندهشة من قوله فقال : ألم نتخطى هذه المرحلة بعد؟ لقد علمت كل شيء عنكِ من شقيقكِ، وقد أخبرني بأنكِ من قمت بالاعتناء به هو وشقيقك الآخر برغم صغر سنك، وكنتِ لهم نعم الأم قبل أن تكوني لهم نعم الأخت، وتلك ميزة كبيرة أراها بكِ .. أنا كل ما أريده منكِ أن تتمهلي في اتخاذ قرارك وليتك حقًا توافقين

قالت رحمة له: لقد أحببت صراحتك للغاية وأقدر حقًا ما أخبرتني به وليس هناك أي سبب شخصي يجعلني أرفضك كل ما في الأمر أنني أفكر في حلمي ودراستي بكلية الطب ولا أريد حقًا ما يشغلني عنها

ـ وأنا لن أقف أمام حلمكِ وسأساعدك في تحقيقه.

تلك الكلمات أراحت رحمة كثيرًا ولكنها مع ذلك خشيت أن يتغير كل ذلك ويتبدل مع الأيام ولا يقدر حلمها الذي تسعى إليه. أخذت وقت كافي تفكر فيه وبعد ذلك جلست معه للمرة الثانية لتخبره بأنها تريد أن تنهي دراستها بالجامعة أولًا ولا تفكر في الارتباط بالوقت الحالي؛ لتسمع بعد ذلك ما لم تتوقع منه فقد قال لها:

ـ أنا مع الأسف لن أستطيع الانتظار كل ذلك الوقت وذلك رغمًا عني؛ فأنا لديّ ظروف خاصة أريد أن أصارحك بها

تنبهت لحديثه فأكمل هو وقال:

ـ أنا مريض ومرضي ليس هناك أمل من شفائه وقد أخبرني الطبيب بأن أيامي في الحياة معدودة واستعد ...

قاطعته وقالت : أرجوك لا تقل ذلك الأعمار بيد الله

قال : أعلم ذلك ولست أريد أن أضغط عليكِ بذلك ولكنها الحقيقة فأنا أريد أن يكون لي عائلة قبل وفاتي، أعلم أن تلك أنانية مني ولكن ذلك هو حلمي ولطالما سعيت لتحقيقه؛ فأنتِ لديكِ حلم وتسعين إليه بكل قوة لذلك ستشعرين بي، وأنا سآتي إليكِ بالأوراق التي تثبت صحة ما أخبرتكِ به لتتأكدي من صدق كلامي.

عندما اختلت رحمة بنفسها أخذت تفكر كثيرًا فيما أخبرها به باهر وأخذت تطّلع على الفحوصات التي تتعلق بمرضه، وبكت كثيرًا من أجله واستخارت الله في أمر زواجها منه، وفي النهاية قررت أن تتزوجه؛ فقد

تعلقت به بشدة أو ربما لأنه سيشبع ذلك الإحساس الذي لطالما أرادته في احتياج الغير لها، ولم تخبر أحدًا من عائلتها بمرضه حتى لا يعترضون على زواجها منه، وقررت أن تكمل دراستها بعد زواجها وأن تدرس وتقرأ عن ذلك المرض الذى يعاني هو منه، وقد أعلنت عليه الحرب، وفي يوم زفافها تعرفت رحمة على شقيق زوجها (باسل) وقد كان يشبهه تمامًا، وبعد زواجهما سافر باسل لمتابعة عمله بالخارج، و مرت الأيام على رحمة سعيدة وقد قررت ألا تعكر صفوها بالحديث مع زوجها عن مرضه وأن تتجاهله تمامًا ولم يمنع ذلك من مواصلة بحثها عنه والدراسة بشأنه لتجد له علاج.

كانت رحمة تشعر مع الأيام بأن هناك ما يفصل بينها وبين زوجها ولكنها تجاهلت ذلك الشعور تمامًا ولم تعره أي اهتمام، ثم رزقهم الله بتوأم جميل فتاتان هما (سما وسها) وكم كان باهر سعيدًا بهما إلى أن ذات يوم

وصلهم نبأ بوفاة باسل نتيجة المرض إياه الذي قد تحدث باهر عنه من قبل مع رحمة، وقد كانت صدمة كبيرة لباهر بحق، أما عن رحمة فقد شعرت بالحيرة لأن زوجها هو من كان مريضًا بذلك المرض وفجأة اكتشفت أنه بخير وشقيقه هو من كان مريض به؛ فسألته لم قام بخداعها إذن ولم يقل لها الحقيقة أن شقيقه هو من كان مريضًا؛ فأخبرها بأنه لم يكن يعلم بأن باسل مريضًا من الأساس، وأنه أدرك الآن فقط لمَ كان باسل يتصرف معه على نحو عجيب!! فقد أراد قبل أن يسافر بأن يزوجه، لذلك رشح له رحمة لتكون زوجته وأصر أن ينتهي من إجراءات الزواج سريعًا في حين لم يكن يعرف باهر سبب تسرع أخيه هكذا.

في تلك اللحظة أدركت رحمة أن باسل هو من كان يفصل بينها وبين زوجها وأنه هو من جلست وتحدثت معه بالمرة الأولى والثانية أيضًا، وأنه فعل ذلك عندما

أيقن أن نهايته باتت قريبة فأراد أن يطمئن على شقيقه قبيل وفاته فقرر أن يزوجه من فتاة طيبة القلب لتعوضه كل مرارة الاحتياج التي ذاقها الاثنان في حياتهما، كان موقف نبيل من باسل فعله بدافع الحب لأخيه ولم تقف رحمة أمامه كثيرًا وقررت أن تستكمل حياتها كما كانت وتغمر زوجها بحنانها هو وأطفالها وشكرت الله أن زوجها الذي تحبه ليس مريض وبخير. ذات يوم اكتشفت رحمة أن باهر مريض بنفس مرض أخيه وأخذت تتذكر كيف أرادت أن تحارب ذلك المرض النادر من قبل، وأنها قبل وفاة باسل قد قاربت بالفعل على اكتشاف علاج له؛ فقررت أن تسافر هي وزوجها إلى الخارج لاستكمال معركتها ومحاربة ذلك المرض بقلبها وعقلها معًا، وهناك ناقشت مع الأطباء ما وصلت إليه، وما ساعدها أن باهر كان في بداية مراحل المرض؛ لذلك كان من السهل خضوعه لعملية جراحية نسبة شفائها

كبير، وكان ذلك تحت إشرافها بالطبع، ثم نجحت العملية وشُفي باهر تمامًا، وأصبحت رحمة طبيبة معروفة في مصر بفضل نجاحها وبحثها الذي لم يسبقها إليه أحد، ثم عاشت مع باهر في سعادة ولم تنسى أبدًا أن باسل هو من كان له فضل كبير عليها لما وصلت إليه.

تمت